الملف: الثورة والصحوة

أ. جعفر نزار/ صحوة أسلامية ثورة وانتصار

أ.د. جون ل. إسبوزيتو/ نظرة غربية للثورة الاسلامية الايرانية

أ.د. الشيخ محمد مهدي التسخيري/ ايران على اعتاب السابعة والعشرين

أ. جعفر نزار
مفكر اسلامي من العراق

ملف

صحوة اسلامية ثورة وانتصار

عوامل الانطلاقة

سبق للشعب الايراني ان تطلع للاسلام، تطلع لمن يجسد حقيقة هذا الدين والنظام من العلماء الاعلام.. ترتب على ذلك ان تربص بالكفر والكفار – الشاه واسياده -، فما ان يحدث خطأ او افراط في السياسة الداخلية والخارجية حتى يضيف الشعب المتربص ارقاما الى قائمة الحسابات، ويزداد تطلعا الى وجوه العلماء.

محورية الايمان

اساسا يقف الاسلام في المقدمة، ويحتل من القلوب مكانا خطيرا.

اما القول بأن تدهور الاقتصاد هو الذي حرك الشعب، او تداعي الاجتماع، او سرعة تحديث الشاه للبلاد وعصرنتها، او فساد الاصلا ح الزراعي، او مشروع تحرير المرأة.. وغيره .. كل هذه السياسة الداخلية لعبت دور المهيّئ وليس المسبب الاصيل، والا فاندلاع نار الثورة بهذا الشكل وبهذا النفس الطويل لايمكن

تفسيره بشيء الا بما للوقود العقائدي من مسبب ودفع دائم ودور فعال.. كذلك السياسة الخارجية مع اسرائيل وجنوب افريقيا يومئذٍ وعلاقة الحب الكبيرة مع اميركا، انما هيأت ظروف الثورة القائمة على اساس متين من فكر الدين الحنيف وارضية خصبة للشرع الاسلامي.

ومن المؤسف ان لايفرق الاعلام الاوروبي والغربي – ثم يتابعه بعض الاعلام العربي والاسلامي -، بين العامل الاساسي والمحرك الرئيسي وبين العوامل المساعدة والمهيئة.

واذا كان للاجنبي عذره لمهمته المتمثلة بالتشويه وتقليل اهمية قضية الاسلام الايرانية والعالمية، فلا نأسف عليه، فما بال البعض الذي عاش سنينا يلغو ويلهج ظاهرا بذكر فلسطين ليلا نهارا، واوشك ان يعبدها فما باله يرمي الى تسميم عقول الناس بعدم اذاعة الحقائق واشاعة المسوّغات الضيقة الصغيرة للثورة الواسعة الكبيرة..

لقد لعبت القيادة الاسلامية دورا ما برح الاستعمار يخشاه خشية جدية يملأها الفزع والرعب والهلع.. وسار الشعب وراء قيادته المحنكة الحكيمة مقتديا بها على هدى الاسلام وبتور نظام الدين الحنيف، يحث الخطى غير ناكص او ناكل ولامتنصل.

دارت عجلة الزمن، وعلماؤنا الاعلام في نفس الموقف الصلب، من داخل نفس المواقع المحصنة بالشعب الاعزل. الشعب الذي ظل في نفس الطريق الطويل، ونفس خط المسير..

اما السلطة الحاكمة فقد لاذت بأميركا لتقيها الخوف والخطر، فاطمأن الشاه بتسربله رداء الاجانب واحدث الازياء والموضات، واحاط نفسه ببحر من الرصاص والقنابل وبمراكب وسفن حديدية فتاكة، اذ حوله مئة الف فني وعسكري اميركي، فضلا عما يقرب من نصف مليون عسكري ايراني، وعلى

كل حال فان ترسانة السلاح البهلوي لانظير لها الا عند كبريات الدول الاستعمارية.. ونفس الكلام ينسحب على جهاز المخابرات والشرطة السرية المسماة بالسافاك فهي مبنية على اسس اميركية واسرائيلية ومطعمة بخبرات وخبراء منهما..

بيد ان الجمهور كان وراء قيادة.. قاعدة وقيادة عزلاء لاتملك من السلاح ما يكفي لفتح مدينة على الاقل.. اجل كان هناك سلاح قد دجج به رجال الجهاد، انه يتمثل بالايمان.. وكفى بالله وكيلا..

الايمان .. هذا السلاح المرعب الذي فاق جميع انواع الاسلحة الفتاكة التي تحويها الترسانة البهلوية. الايمان الذي لاتوقفه قنابل الغاز المسيلة لدموع ولا المسيلة للدماء.

فبين فترة واخرى تمتلىء شوارع ايران بجثث الضحايا بينما تزدحم السجون البهلوية بزوارها الابطال، فيما تكتظ المستشفيات بالجرحى البواسل؛ فمنهم من ينجو ليعيد الكرة تلو الكرة، ومنهم من يمضي على ما مضى عليه الاتقياء والعقائديون. كالسجناء الذين منهم من يمضي تحت صنوف التعذيب، ومنهم من يبقى حتى اجل آخر..

(من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا).[1]

هذا .. وعوائل الاسلام تعود الى ديارها، لا لتبكي فقط بل لتعد الحكم القذر بجولة وجولات لا مفر له منها.. هكذا عاشت الاسرة المسلمة الايرانية، ترثي شبابها ورجالها ونساءها واطفالها، ولكنها تستمد من التاريخ المقدس حيث جهاد الرسول واهل بيته وصحبه الميامين، صبرا وعزاء وتفاؤلا، فلهم في اقطاب الاسلام اسوة حسنة، ولهم في ذكرى الحسين العظيم في بطحاء كربلاء دمعة شرف، ولوعة عز ملؤها امل بالنصر مهما طال الصبر.. هذه هي ديار المؤمنين

المجاهدين ديار العلماء المستشهدين، وديار جنودهم من كل الجماهير، عبر سنوات مثقلة بالجهاد والدمع والدماء.

بالمقابل كان الشاه وبتربية اميركية، متحضرة «جدا»، متقدمة متطورة تناسب العصر الحديث، عصر الاطماع وعصر الخداع، كان يسعى حثيثا نحو التقدم «المزدهر» والتطور الشكلي الظاهري،[٢] فيرصّع العاصمة طهران بأضخم المباني، متوهما انه سينطح السماء، راغبا بتجاوز تقليده ناطحات السحاب، يؤسس الدوائر ويشيد كل ما يوهمه بنيل رضى الشعب المثكول، الذي حدد له تعامله مع المفاهيم الاسلامية وضيق لقاءاته بعلماء الاسلام.. وعمل على فتح ابواب المشاريع اللااخلاقية، التي اشرفت عليها الفئات اليهودية والاسرائيلية والبهائية، فعم الفساد وانتشر الجنس الرخيص حتى فتحت بطهران حمامات للجنسين – لربما – تحقيقا للمساواة بين الجنسين وما يدريك بفلسفة المساواة هذه؟!

جدير بكل مثقف واع ان لايسمح لنفوذ الآراء الضيقة الى ذهنه بخصوص السبب الاساسي والعامل الرئيسي الفعال لنهضة الشعب المسلم الايراني، فتصميم القيادة وعزم القاعدة على تطبيق الاسلام وتحكيمه في الشؤون السياسية والاجتماعية والاقتصادية، داخل وخارج حدود ايران هو الباعث لحث الخطى نحو صنع الاحداث الكبرى لاسقاط الشاه وكل متعلقات امبراطوريته البهلوية.

وكل ما عدا هذا الباعث يشكل رقما يدرج في قائمة المهيئات التي بلورت الواقع وصعّدت من نضال الجماهير الباسلة..

ابعاد الامام الخميني

وقائمة المهيئات طويلة لايسعنا ادراجها الآن.. نختصر فنذكر آخر هذه المهيئات التي اشعلت فتيل الثورة المصيرية الحاسمة هذه. ويقف على رأسها نفي المجاهد العنيد الصارم سماحة الامام روح الله بن مصطفى الخميني.. ولا

ريب ان عملية النفي جاءت حصيلة موقف جهادي اتعب العدو وارهقه فاضطر لأن يتخلص منه بهذه الطريقة وهذا هو اسلوب العاجز..

تطلع جند الامام اليه، وترقبوا عودته، وطالبوا السلطة بفتح طريق رجوعه اليهم، واشتد الطلب وتحول الى احتجاج قبيل بدء التحرك..

في هذه الاثناء شن الاجلاف من اذناب نظام الحكم حملة شعواء على النساء والفتيات المؤمنات والمسلمات المحجبات، فكانت تمارس عملية انتهاك الحرمات الشخصية، فضلا عن انتهاك حرمات التشريع القاضية بالتزام الحجاب حفاظا على الشباب والشابات وتقديرا للمرأة واجلالا لها كي لاتتحول في الشوارع الى عارضة ازياء رخيصة السلعة مبتذلة الشخصية.. ولم انس لقاءً تم مع احد الاخوة الايرانيين في النجف. حيث سألته عن جهله التام بالتكلم باللغة العربية، فأجاب: ان الشاه قد منع هذه اللغة في المدارس الرسمية – كما ترجم احد الشباب الحاضرين – وسألته عن الوضع في ايران كما شاهده، باعتباره قادما قبل ايام قليلة من بدء الحركة.. فترجم الاخ الثاني، بما معناه ان الشابات المؤمنات في جامعة طهران يتعرضن لرمي الاصباغ والحبر على حجابهن ويُعتدى عليهن من قبل الحزبيين – حزب راستاخيز الشاهنشاهي – فهل يسكت القادة ويلوذ الشعب بالصمت.

وفاة نجل الإمام

والواقع ان حادثة اغتيال آية الله السيد مصطفى الخميني نجل الامام قد ألهبت في النفوس جذوة الثورة،حتى لقد ظن بأن السيد مصطفى نفسه لو ذهب الى ايران ليستثيرها بنفسه لما لعب هذا الدور الذي لعبته شهادته، ولربما جاء استشهاده في وقته المناسب جدا.. وبالتأكيد فان الامام الخميني حينما لاتؤثر فيه الحادثة فليس لانشغاله بالاسلام وابنائه عموما فحسب، بل ليقينه بأنها حادثة معطاءة ولها ثمر جنيّ، يعوّض عن عطاء وثمر ولده القتيل لو كان

حياً.. وينعتها بأنها من الألطاف الإلهية الخفية، فقد يجهل الناس أبواب لطف الله تعالى، فينبهنا السيد إليه.. ففي إحدى الخطب التاريخية تعقيباً على الحادث بالنجف الأشرف مثلاً قال:

"إن هذه الحادثة ومثيلاتها، والتي يمكن أن يتعرّض لها كثير من الناس، وليست لها أهمية بالغة، فلله – عادة – الطافٌ خفية، وأخرى ظاهرة. الألطاف الخفية لا يتم التعرف عليها والتحسّس بها بسهولة"[٣].

بمعنى أن هناك حكمة ربانية وسراً إلهياً، ولربما أسراراً متعددة، منها ولعله أهمها تهيئة أسباب وأمور الثورة.. فإن كان لإغتيال المجاهد السيد مصطفى الخميني ، ألطافٌ إلهية خفية، فإن هذا التفسير يصلح لتفسير الظواهر التعسفية البلهوية الأخرى لاسيما الإعتداء على أخواتنا الفتيات وأعراضنا في المدن والجامعات، ونفس التفسير ينسحب على ظاهرة الهجوم الوحشي القذر بواسطة الصحافة على كرامة شخص آية الله الخميني.

اهانة القيادة الشرعية

فقد نشرت صحيفة "اطلاعات" الناطقة الرسمية بلسان النظام الحاكم، مقالاً من البشاعة بحيث وصفته الصحف والمجلات العربية بأنه "يسيء الى سمعة آية الله الخميني، و يتهجّم عليه تهجّماً وحشياً"[٤]، وهذا مما هيّأ أيضاً وأعدّ النفوس التّواقة للاسلام للإنتقام من الأعداء، الأجلاف.. ولم تكن الإساءة والشتم والإعتداء على السيد هي الأولى، ولعلها الأولى من نوعها ومضمونها الوحشي.

فمنذ سنوات شتموه وأساءوا إليه وهو في قمّ، حتى أنه خطب في سنة ١٣٨٢ هجرية فمما قاله للشعب.

".. فإن شتموني أو سبّوني! فسأصبر ولن أتزعزع، فلنا في رسول الله أسوة

حسنة، ولنا في علي أمير المؤمنين أسوة حسنة.. [٥].

هذا ما قاله سنة ١٣٨٢هـ ، ولا تغيّر موقفه السنون، فهو يصبر أيضاً على المقال الذي نشرته صحيفة اطلاعات، ولكن من ذا الذي يضمن سكوت علماء قمّ وأهلها؟، ومن ذا الذي يتحكم بالجماهير التي تدين النظام بديون لا يمكن سدّها ودفعها إلاّ بتبديل الأرض وتغيير الواقع وحرق الملكية ونسف الامبراطورية ونصب الاسلام حاكماً نافذ الكلمة بغير منافس.

وهكذا إنتفض الشعب إنتفاضته المشهودة.

وهكذا نقول بأن الإساءة البهلوية للكرامة الخمينية، والتهجّم الوحشي والإعتداء البشع على الامام، إنما هو لطف إلهي خفي، وهو من الألطاف الإلهية الخفيّة، بمعنى أن التفسير السابق يشمل نفس هذه الحادثة التي لا شك أنها بسيطة عادية بنظر الامام الخميني.

وفي البداية، وقبل التحرّك الإحتجاجي الكبير، بادر علماء قمّ الأعلام فندّدوا بالمقال المذكور وطالبوا نظام الحكم أن يفتح لهم باب الردّ عليه وملاحقة كاتبه ملاحقة قضائية، فتجاهلت الحكومة مطالب العلماء – وهذا لطف إلهي لا ينكر – إذ سمع الشباب وكل قطاعات الشعب بتجاهل الحكم، فانفجرت ومن قلب قمّ المقدّسة أوّل تظاهرة أسفرت عن مجزرة لا تنسى.

ولم تكن القيادة المتمثلة بالمراجع الرشيدة وعلى رأسها الامام روح الله الخميني، لتفتر عن دعوة الشعب الشجاع لنسف معاقل الملكية ورؤوسها الفاسدة، وكان الشعب لا يتأخر عن تلبية أي دعوة أو نداء صادر من قمّ حيث مجمع العلماء الأعلام، أو من النجف الأشرف حيث الامام الخميني؛ فتبادل الثقة بين القيادة والقاعدة أمر كان يتجلىّ بأروع الممارسات الثورية وأسمى الآيات الجهادية، وإن كان هذا الأمر منذ عقود من السنين المنصرمة، إلا أنه في سنة ١٩٧٩م المصيرية قد بلغ الذروة والأوج.. إنه المجتمع الذي أدرك ووعى أكثر

فأكثر، إنه الجمهور الذي نال شرف اليقظة منذ القدم، مما دعا "فرنو" للقول عنهم بأنهم "لا يستطيعون البقاء كمية مهملة على هامش النزاع الكبير بين الشرق والغرب، حتى لو ترك الإنكليز آخر موقع كبير للنفوذ الأجنبي في الأراضي الايرانية"[٦].

قال ذلك قبل سنوات، أيام النفوذ الإنكليزي ، كما يفيد النص، ولكن بريطانيا ولّت ورحلت فحلّت أميركا مكانها.. وتنبّؤ فرنو لم يسقط. أجل.. لقد إستمد فرنو موقفه واستند في قراره الصائب على أسبقيات وتاريخ ساهم بصنعه القادة والقاعدة الذين ناضلوا وجاهدوا في سبيل ربهم ورسالة نبيهم، لم يكن تنبّؤ فرنو هو الدافع والمشجع المعنوي للمجاهدين، وإنما تنبّؤ القرآن الكريم ووعد الله سبحانه لكل من يجاهد صادقاً في سبيل تطبيق مقررات القرآن وتشريعات الاسلام الحنيف، إنه وعد الله وعهد الرحمن:

(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وليبدّلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً.." [٧].

الوحدة والجماعة

"... إنني أمد يدي، بكل تواضع، الى كل الشعب الايراني الأبي. الى علماء الدين الأجلاء، والخطباء العظام، الى كل شباب الجامعات الدينية وطلبة المعاهد العلمية، الى التجار المحترمين . والعمال والفلاحين. الى كل فئات الشعب داخل الوطن وخارجه ايّدهم الله تعالى..."[٨].

كل فئات شعب ايران المسلم.. كيف ولماذا كلهم دونما إستثناء؟! لابد من تفسير هذه الظاهرة الفريدة إنها فلتة تاريخية، إذ أنه ينادي الجميع والجميع يلبّون. ويوجب على الكل والكل يجيبون:

"يجب أن تحافظوا على وحدة كلمتكم، التي حصلتم عليها بكل جدية. وترصّوا صفوفكم تحت راية الاسلام، وعلى كل الأطراف التي تعمل بنشاط من أجل الاسلام التحرري، أن تتوحد وتردّد معاً شعاراً واحداً هو شعار الاسلام والقرآن.. ويجب أن تسود الوحدة طلبة علوم الدين في المدارس، والطلاب في الجامعات، والتجار في الأسواق، والعمال في المعامل، والفلاحين الكادحين في السهول الواسعة، ومن المتاريس حتى محاريب المساجد والنوادي للأحزاب السياسية، وفئات المثقفين والدكاترة والمهندسين، وكل الأطراف العسكرية والمدنية المحترمين، عليهم أن يعملوا يداً واحدة ببطولة وبصوت واحد، من أجل نجاة هذه السفينة التي تجدُّ شياطين الخارج والداخل لإغراقها." [٩].

وفعلاً خرج الجميع وتكتلوا كلهم، فهدرت بهم الشوارع الواسعة الطويلة العريضة، هرعوا بلا تأخير أو تأجيل ولا تبعيض ، فأجمعوا – وليس بعضهم – على أن يحرقوا معالم الكفر ويحطموا الأصنام الحديثة، بتصميم قاهر لا يتقهقر لمحاربة قلاع الجاهلية المستحدثة المعاصرة، ودك حصون خيبر التي نقل اليهود أحجارها الى ايران وفلسطين . الجماهير التي ستلاحق آخر الحصون وأكبرها في تل أبيب.

هكذا أجمعوا، وسيبقون على إجماعهم الجماهيري القاهر، ذي العنفوان المدهش في عالم ذليل خانع يسوده الإستعباد وسياسة الاستعمار «ديمقراطي» "التقدمي" "الحضاري".

كيف ولماذا كلهم دوما استثناء؟

لا تسل، ولا تعجب.. فأمر الله في دينه الحنيف يكفيك مؤونة العبرة والتفكير، إرجع الى الاسلام، لا نشترط التبحّر والتضلّع، عد الى مصدر الثورة ومرتكزاتها الراقية، الى رسالتها وسلاحها، الى وسيلتها وأهدافها، تأمّل في مفاهيم الاسلام، ومعالم الفكر الديني الخطير، مضامين القرآن الكريم

ومحتويات السنّة الشريفة، والمسيرة التاريخية التي قطعها الرسول وأهل بيته وصحبه المنتجبين.

بعدئذ لا حاجة لصعوبة الفهم، وغموض الأمر على أي امرئ كان.. فطبيعة الاسلام ومكامن القوة فيه،هي التي أملت على مسلمي ايران أن يكونوا أقوياء وأشداء قساة على العدو يغلظون له، رحماء فيما بينهم.

إن من أبرز معالم مفاهيم ديننا العظيم، هو الإتحاد والتكاتف، من أخص خصائص الاسلام: الوحدة والجماعة، ومن خصوصياته من حاربة الفرقة والتمزق والتشتت، ولا وجود لكيان المسلمين ولا بقاء للفكر الاسلامي لولا التضامن والتلاحم الذي نال فيه أهل الاسلام درجة الإمتياز بلا منافس في صدر عصر الرسالة.. بنفس الوقت، فإنما سقطت الأمة المسلمة وأقصيَ الاسلام عنها فلأنها أقصت أهم مرتكز لوجودها وهو الوحدة، الوحدة داخل الأمة بين الشعوب المسلمة ككل، والوحدة داخل الشعب الواحد بين فئاته ككل. فانطلق العدو يخترق الصفوف الواهية ويزيدها تمزيقاً وتفريقاً ويعمّق فجواتها، وهو سعيد جداً، بينما الآهات والحسرات من نصيب علمائنا الأعلام والمفكرين والشباب المؤمن الواعي.

واليوم حيث شعبنا الاسلامي الباسل يهز عروش الطغاة وكراسي الإستبداد ويؤرق عيون المقيمين في الكونغرس والكنيست، متّحداً منصهراً "كزبر الحديد"هذا اليوم المقدّس يعود فضله الى وعي الشعب الايراني العظيم وشدّة تعلّقه بمقتضيات الاسلام وخطوطه ومرتكزاته، إنه ينال شرف الإمتياز وحده ليوزعه فيما بعد، بفخر وإعتزاز، لكل من عاش الفرقة والشتات والضياع والتسيب، من الشعوب التي عليها أن تعيد النظر فيما حولها على ضوء النور المتوهج . المشّع من إقليم إيران الحبيبة.

(إذا أراد الله بقوم خيراً جمع كلمتهم) [١٠].

(واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا..)[١١].

(لا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعدماجاءهم البينات..)[١٢].

(وأطيعوا الله ورسوله – ولا تنازعوا فتفشلوا، وتذهب ريحكم.. إن الله مع الصابرين..)[١٣].

قطاعات المجتمع الايراني

أ. قطاع العمال: - لنستهل بذكرهم هنا بادئ ذي بدء.. أولئك الذين خُدعوا على الصعيد العالمي تحت بريق "حكم دكتاتورية البروليتاريا" ضمن الدعوة الشيوعية المعروفة، ولم ينج الشعب الايراني من تغلغل الشيوعية الملحدة في أوساطه، كما لم يسلم العمال من تيار البروليتاريا الأجنبي، بيد أن النجاة والسلامة تمَّت على يد العلماء الأعلام ورجال الفكر وشباب الايمان، الذين كان تواجدهم بين صفوف العمال وبين أجهزة المصانع، وماكينات المعامل أكثف من أي تواجد وأشد أثراً، لما للرسالة الدينية الاسلامية من سرعة في اللقاء مع الفطرة، فطرة العمال وجميع الفئات وقطاعات الشعب الإسلامي.

وقفت المصانع فجأة، وتوقف الإنتاج، كما جف نهر النفط، ولم يعد يجري لأي بلد معادٍ، لاسيما أميركا، اسرائيل، جنوب أفريقيا العنصرية، يومئذ، وغيرها من المناطق المعادية لعموم الانسانية.

لقد أصدر الامام الخميني أمراً، فنفذوه على مايرام.. فمن هو الشاه، ترى من هي إسرائيل، أميركا، كلها نكرات لا قيمة لها، فالحاكم ليس الشاه وإنما الخميني الامام.

والتحق العمال بالمساجد والحسينيات، بدل أن يلتحقوا بالمعامل والمصانع، وهذا التوجّه للمباني الشريفة، وليس للدوام الرسمي كالعادة، هذا التوجّه قد قلب الأوضاع الإقتصادية على العدو وأجبره على إعادة النظر بفواتير العمل في

تلك الدول "المتحضرة جداً". وأسهم العمال في صنع التظاهرات الضخمة المرعبة إنطلاقاً من قواعدهم الأصيلة حيث – الجوامع والحسينيات - .

تكرّرت نداءات الشاه على لسان رئيس الحكومة العسكرية، بإعادة العمل والعمال الى طبيعتهما، فلم يستجب العمال الى تلك "الطبيعة" فمارس النظام عنفاً وإرهاباً تمثَّل بإجبار العمال بصورة مخيفة وبضغط عصابات جديدة مهمتها خطف "أبناء العمال لإجبار ذويهم على العمل وتأمين تدفّق النفط"[١٤].

لم يرضخ العمال، فيما ذهب بعضهم الى المعامل بغية ضمان سلامة أبنائهم الذين سُرِقوا، ولكن هؤلاء البعض لم يباشر العمل قط، وبإجبار بعضهم على تحريك المصنع والجهاز عنوة، فإنه يعمل لتحريكه لا لإنتاج ذلك لأن العلماء لم يسمحوا بذلك والخميني يواصل توجيهه لهم لا بإسمه شخصياً وإنما باسم الله وبإسم الاسلام.

".. فمن واجب الشعب إحتراماً للإسلام والقانون، عدم إطاعة الشاه وحكومته وعدم دفع الضرائب ومواصلة الإضراب وخاصة في حقول النفط"[١٥].

ب- قطاع الفلاحين – هو الآخر، يشترك تحت نفس الألوية الاسلامية في تظاهرات واسعة، تحت راية القرآن يسهم في الثورة، ويلبي نداء الخميني بضرورة زراعة الحنطة، مع عدم دفع الضرائب للحكومة، ثم تسهيل نقل المحاصيل الى المدن المتعبة المرهقة، والإسراع في تقديم وتوفير مايسد حاجة الشعب من أسواقه ومحلاته، وتتحرك جماهير الفلاحين بنشاط داخل القرى والأرياف بالمزارع والحقول "الكادحين في السهول الواسعة".

ج – الطلبة والأساتذة – في المدارس الابتدائية، فالثانوية حتى الجامعة كلهم خلف العلماء يسيرون، وللشاه يطاردون، وتحولت مباني المدارس والمعاهد والجامعات الى مقرات للثوار، مما أدّى الى إغلاقها من قبل نظام الحكم، ولكن الطلاب والأساتذة هاجموا مكتب مدير جامعة طهران فاحتلوه "وتظاهروا

في الحرم الجامعي مطالبين بإعادة فتح أبوابها، وقد طوّق رجال البوليس مبنى الجامعة"[١٦]، وراح العلماء يدعمون الشبيبة الطلابية واساتذة التعليم الجامعي،ويشجعونهم على موقفهم الشجاع، ومطالبتهم بإعادة فتح أبواب الجامعة، ولكن لِمَ يفتحوها ألكَيْ يدرسوا فيها وهم في هذا الوضع المزري؟ لنستمع الى الى أحد الأساتذة – رضا جعفري استاذ الاقتصاد في جامعة طهران – وكأنه يجيبنا بتصريحه لوكالة الاسوشيتدبرس:

"إن النية لا تتجه إلى إستئناف الدراسة في الجامعة، مالم تتم الإطاحة بالشاه وبرئيس وزرائه الدكتور شابور بختيار ". وقال: "إن الجامعة أعادت فتح أبوابها حتى يتجمع فيها أفراد الشعب ويتبادلوا الآراء"[١٧].

فلم يريدوا مواصلة الدراسة اذن، بل استهدفوا إعداد دروس للشاه وتلقين الأعداء المستعمرين دروساً لن تنسى، ليقرأوها بفصول تاريخ طويل للاسلام الخالد.. وكان حقاً درساً علمياً موضوعياً قاسياً جداً.

د- الأطباء ورجال الصحة: - فقد أعلنوه إضراباً حتمياً تضامناً مع الثورة المباركة، إذ رفض أطباء مدينة "مشهد" المقدّسة، مزاولة العمل تماماً، إلا عند أشد الحاجات إلحاحاً[١٨]، فيما أضرب أطباء مدن أخرى في غمرة صراع حاد يتساقط فيه الشهداء والجرحى، ولم يعمل الطبيب إلا لعلاج جرحى الصراع الدائر، ولطالما أمر الأطباء نقل الجريح الى داره لمعالجته هناك فيذهبون الى بيوت الجرحى بفعل تكرار اعتداء الجيش والسافاك على المستشفيات ذاتها للإجهاز على كل جريح كما هوجم الأطباء بشكل مقصود.

"لقد دخل الجنود مستشفى في المدينة" أهواز "تحيط به الدبابات. وكانوا قد ضربوا حصاراً حول المستشفى بعد أن علموا أن الأطباء يعتزمون القيام بمسيرة من هنا"[١٩].

هـ - رجال الصحافة: لم يبقوا رهن الجمود قيد الصمت؛ فأخذ اتحاد

الصحافيين الايرانيين باستنكار ممارسات القمع والإرهاب الشاهنشاهي وقد بعث الاتحاد ببرقية شجب وتنديد بالعنف البهلوي، أرسلوها الى "ماك بريد" رئيس لجنة الاعلام التابعة لمنظمة اليونسكو، والتي تعقد يومها "دورتها الرابعة بمدينة دوبروفنيك اليوغسلافية"[٣٠].

ولم يكتفوا بمجرّد الإستنكار؛ إذ نفذوا إضراباً عن العمل أوقف إصدار الصحف وشل الاعلام البهلوي، إستمر الاضراب عن إصدار الصحف الايرانية من أيام الحكومة العسكرية حتى مجيء الحكومة الرابعة التي توهمّت أنها أطلقت الحريات بإباحة طبع كل شيء في الصحف.

وسبق أن إنضم إليهم كل العاملين بوكالة الأنباء الايرانية، وهذا ما أعلنته الوكالة عبر بيان للعاملين فيها، أخبروا فيه أنهم أضربوا عن العمل واستهدف إضرابهم – كما صرّحوا – تضامن "العاملين في الوكالة مع حركة المعارضة ضد شاه ايران"[٣١].

سائر القطاعات

حتى إذا ما تفاقمت الأحداث وتطورت، وصعّد الأبطال من صرامة مواقفهم، أخذ أفراد من الجيش ينسلون لينخرطوا في صفوف الشعب. ثم ارتفع عدد العسكريين من الجند والضباط حتى بلغ المئات فالالآف.

هذا وقد بادر جميع العاملين في شركات الطيران من موظفين وعمال الى الإضراب، وقد أكّدوا في بيان لهم تلاحمهم مع الثورة الاسلامية، "وأكّدوا أنه طالما أن الإضراب مستمر في جميع القطاعات العامة والخاصة بأمر من الإمام الخميني فإن العاملين بشركة إيران للطيران سيواصلون النضال حتى تتحقق طموحات الشعب الايراني"[٣٢].

عدد كبير من الطيارين قد انشقوا، فمنهم من أضرب ومنهم من استقال

وحينما أضرب ستة من الطيارين، وجاء أمر فصلهم كان خمسون طياراً قد قدّموا إستقالاتهم إحتجاجاً على فصل إخوانهم، بل واحتجاجاً على النظام كما يبدو جلياً، وهؤلاء هم من رجال الطيران المدني التابعين لشركة الخطوط الجوية الايرانية، وبذلك فقد توقفت الشركة عن العمل[٢٣].

وأضرب عمال طهران لإطفاء الحرائق وعددهم ألف موظف وعامل وكان إضرابهم في وقت إشتعال النيران، إذ يقوم الثوار بإدلاع النار في مباني خاصة للشاه أو مباني الدول والكيانات العنصرية، فقد أشعلوا السفارة البريطانية، والأمريكية، ومقرات ومكاتب أجنبية معادية، فضلاً عن البنوك الخاصة "بصاحب الجلالة".. بالتالي فإن رجال الإطفاء يأتون بعد أن تستدعيهم الحكومة بسرعة لإطفاء النار، ويساعدهم السافاك في مهمتهم، أما إذا ما أحرق الثوار منازل البوليس السري، فإن رجال الإطفاء يجبرون على أداء عملهم خلافاً لرغبات الثوار، وعليه.. فخوفاً من الإساءة للثورة أعلنوا الإضراب لكي لا يطفئوا نار الحركة، "لأنهم لا يريدون أن يرتبط إسمهم بالبوليس السافاك "كما عبَّر ناطق عنهم "ونحن لا نريد مثل سوء التفاهم هذا مع الشعب" وجاء إضرابهم تعبيراً "عن التضامن مع الحركة ضد الشاه"[٢٤].

أما التجار وأصحاب المحلات في البازار فقد سمع الكثير عنهم وعن أدوارهم الخطيرة. وقد كانوا من السخاء والجود بحيث ضحوا بالكثير من أوقاتهم وبضائعهم وأموالهم التي راحوا يوزعونها على كل مُضرب معسِر أو مفصول من الوظيفة في ضيقٍ من أمره.

كما وجّه إليهم الامام الخميني القائد نداءات بذلك، "وبعدم رفع الأسعار" كيلا تتحول ايران الى سوق سوداء للبضائع الإستهلاكية.. وبعد كل هذا العرض الموجز لكل تلك القطاعات ماذا بقي "لصاحب الجلالة" الشاه آريامهر.

التنظيمات

أما التكتلات والتنظيمات الوطنية الصغيرة والكبيرة، المخلصة والمشبوهة. فقد اتحدت جميعها نحو الهدف المشترك الواحد، ألا وهو خلع الشاه وقلع أسس نظامه الاستبدادي.. ولقد تحركت الفصائل الوطنية بفعل وطنيتها وبفعل نداءات الخميني القائد المخلصة منها على وجه الخصوص.

يضم الشعب الايراني تشكيلة من الأحزاب والفئات المنظمة، وهي على كثرتها يصعب عليها أن تقرّر فتعلن موقفاً ما ، لأن الغالبية الساحقة هي الامة الاسلامية الايرانية بقيادة الامام الخميني .. وعليه فإن تلك الأحزاب الكثيرة لا تضم سوى القليل من أفراد الشعب وقد ظهرت النزعة الوطنية بين صفوف الشعب الايراني منذ عقود "كغيرهم من شعوب الاسلام الكبرى، قد عاشوا يقظة الحركات الوطنية، وشهدوا ردود الأفعال في سلسلة الاضطرابات السياسية الكبرى التي امتاز بها العقد الأول من القرن العشرين"[٢٥].

بينما نرى عمر الجهاد الاسلامي والحركات الاسلامية أبعد من ذلك الزمن فضلاً عن أن فاعلية الاسلام أعمق أثراً في نفوس شعبنا المجيد..

هذا وقد آثرنا عدم الوقوف طويلاً على أسماء ومكانة تلك الأحزاب والفئات. نظراً لتوخي الإيجاز، وبناءً على قلة المصادر حول ذلك، فما تنشره بعض الصحف والمجلات عمّا يندرج تحت عنوان "الجبهة الوطنية" من أحزاب قد لا يسعفنا كثيراً..

فالإتجاهات والتيارات داخل الجبهة تشاطر القيادة العبقرية للإمام الخميني وباقي العلماء، ببعض الأهداف وأهمها محاربة الشاه، هذا على الرغم من عمق الخلافات والإختلافات الايديولوجية، بل إن هذه الخلافات الايديولوجية معشعشة في أبراج الجبهة الوطنية نفسها.

والشعب الاسلامي لا يثور أو يتحرك أو يجاهد بمعزل عن العلماء ، بل لا يؤيد

أي مشروع أو مبادرة مصيرية مالم تتقدمها الرؤوس العلمية والعِمّة التاريخية، إذ لا يصدّق الشعب الايراني بأن غير العلماء يمكنهم الصدق والإخلاص في إنهاء الدكتاتورية ونسف الشوفينية.

".. إن أي تحرك إجتماعي محض لا يمكن أن يكتب له النجاح مالم يتم عبر تدمير الشوفينية في ايران، وهذا ما يعزز دور حركة رجال الدين"[٢٦].

"ويمتلك هذا الإتجاه الديني تراثاً من النضال ضد الإستعمار البريطاني وحليفته السلطة الديكتاتورية، ولعل أحداث أعوام ١٩٠٥ – ١٩١١ تؤكد ذلك.."[٢٧].

الشباب

لاشك بحقيقة انتشار التميّع والانحلال بين صفوف الشعوب الاسلامية كافة، فلم يستقر الاتجاه الفاسد داخل أوروبا والغرب فحسب، إذ إتجه إلينا ليجرف بتياره شباب شعوبنا المسلمة، فصدَّر الاستعمار كميات من الأخلاق الرذيلة بواسطة حفنة من المبشّرين المعادين منذ بداية هذا القرن؛ بحيث عملوا على سلخ شبيبتنا عن أسمى مقومات شخصيتها ومعاني رجولتها. وتركوها بلا شخصية حيوية ولا رجولة قوية، أملاً بتغيير نظرتها لدينها الاسلامي، واستبدالها بنظرة زائفة جديدة تمهيداً لطمس هذه النظرة الجديدة نفسها، وقد تفاءلَ أحد المبشّرين في أوائل القرن العشرين فقال بلهجة النشوان الغالب..: "قد أزف الوقت لإرتقاء العالم، وسيدخل الاسلام في شكل جديد على الحياة والعقيدة، ولكنّ هذا الاسلام الجديد سينزوي في النهاية ويتلاشى بالنصرانية"[٢٨].

لم يستهدفوا نشر ثقافتهم بقدر إستهدافهم طمس إسلامنا وحلّ شبابنا، لذا لم يكتفوا بتصدير بضاعتهم الرخيصة إلينا، بل أجبروا عملاءهم وصناعهم

على مواصلة الإستيراد عبر القارات خلال البحار، لضمان رواج سلعهم فيما لو رحلت قوافل التبشير الإستعماري.

وإذا رحلت بغالبيتها عن أكثر بلدان الاسلام تاركة أزلامها العملاء، مخلفة آثارها الخطيرة، فإنها عن ايران لم ترحل بل تعززت وتركزت بفضل "صاحب الجلالة" – الأب والإبن من بعده - .

"وفارس مثال للإنحلال" مما ختم به القسيس زويمر مقاله الإفتتاحي لمؤتمر لكنو للتبشير الإستعماري عام ١٩١١م.. "فالمغرب الأقصى في الاسلام مثال الإنحطاط، وفارس مثال للإنحلال وجزيرة العرب مثال للرقود[٢٩]... و ... الخ.

لم يكذب زويمر، بل قال بعض الحقيقة وكشف الواقع لتشجيع رجاله ولتكريس الجهود لتعميق الإنحطاط والإنحلال والرقود.. و.. فإذا كانت فارس منحلة منذ سنة ١٩١١، فما هو الوضع هناك في السنوات الأخيرة التي أضحى الإنحلال خصوصية حضارية، ووساماً تقدمياً، ومن أبرز معالم الاقتباس من الغرب وأوروبا؟؟ لاشك أن الوضع متدهور متردٍ جداً.

وما كانت القوى الصهيونية بعيدة عن أغراضها ومصالحها وخبثها.

"ولقد خدعنا الجيل الناشئ من الأميين، وجعلناه فاسداً متعفّناً بما علّمناه من مبادئ ونظريات معروف لدينا زيفها التام، ولكننا نحن أنفسنا الملقّنون لها"[٣٠].

إنحدر الكثير من الشبّان، آلاف الشباب والشابات يعيشون الفساد الى الأذقان.. بينما كان العلماء بالمرصاد وكانت التنظيمات الاسلامية التي قوامها الشباب المؤمن الملتزم تجمع المعلومات حول كل مايستجد من مشاريع إنتهاك حرمات الاسلام وقيَم الشعب والشباب.

وتصل التقارير الى العلماء الأعلام ليقفوا جيداً على مبادرات النظام البهلوي

الحاكم الذي يسعى لفتح الطريق لكلّ من الهيئات الإسرائيلية واليهودية والصهيونية والماسونية والتبشيريّة، والمجوسية والبهائية.. الذين أجمعوا على الخدمة بواسطة فتح الملاهي والحانات ودور الدعارة، وأفلام الجنس، وحمّامات الإختلاط ، و.. وكل ما يندى له الجبين.

ويواصل الشباب المؤمن الملتزم، عطفه ونصحه وإصلاحه لإخوانه المساكين غير الملتزمين.. ولكن حياة الانحلال واسعة واستحواذ الأهواء وتسلّط الشيطان يحول دون إصلاح الكثير.

إنه يعاند ويكابر إخوانه الدعاة، يعصي ربّه، لا يحب الإلتزام ، كأنما هي رغبة ما كالرغبات، لربما يقول بأنه سوف يصلي حينما يكبر – حينما يبلغ من الكبر عتيا - . وعلى كل حال فإنه رغم عصيانه وعناده، مايلبث أن يعود الى رشده، ويعودون بنطاق واسع في أيام التاريخ الأكبر.. فنراه يتحول وينقلب بشكل عجيب، لكنه مع عصيانه وعنادٍ قوي، يحوّله ضد النظام الحاكم..

وإن لم يتلزموا سابقاً فهم مع الايمان والاسلام والالتزام ، جنباً الى جنب مع إخوانهم المؤمنين ضد الأصنام والأوثان والإنحلال والطغيان، فالكل على معرفة بالحكم التعسفي ، مع تفاوت ملحوظ وفق أسس التفكير..

ترى هل يسكتون والخميني يدعوهم، يوجّه النداء إليهم بالذات كي يتركوا الخط الذي رسمه الأعداء، كالليوث نهض العلماء، فهل يتركونهم وحدهم مع الفصائل المؤمنة في الساحة..؟؟ كلا وهيهات.

نقاء الثورة

ليس من الصدفة وقوع هذا الحدث الرسالي الهادف، فقد طال زمن تدبيره وتخطيطه حتى كان هذا ثمره الثري وحصاده الوافر، من الرجال والشباب والنساء، في عموم طبقات المجتمع الاسلامي بايران، بحيث لم تدع ثورتهم التي

جنّدت كل الطبقات والفئات والقطاعات، أيّ فرصة للتفكير الماركسي كيما يصبغ الثورة بلون يشتهيه ويحبه ويهشّ إليه كل شخص ماركسي.

وهو اللون الطبقي المعتم.. بل لم تدع مجالاً لمراجعة مقولات الماركسية – اللينينية، لتعيد النظر فيها، وبذلك فإن كثيراً من النظريات سوف تُرتَّش، إن لم تُغير، بل ستصب بقوالب كليشيهات جديدة، إن لم تهمل.. ليس فيما يخصّ الصراع الطبقي فحسب وإنما فيما يخص أموراً كثيرة لسنا الآن بمعرضها، إذ أن خصوصيات وإمتيازات الثورة الايرانية تتجاوز الدحض العملي لمفهوم الصراع الطبقي إلى دحض عملي وردود عملية لمفاهيم ونظريات أخرى.. كما أن نظام الحكم المرتقب سيسهم بشكل واضح في سياسته وإقتصاده واجتماعه.. الخ، بنسف فكر الثورة البلشفية الهشّ..

أجل سارت الطبقات بمسيرتها الخالدة، يحدو بها حاديها بصوته الجميل، وكلماته البليغة، ونداءاته الواجب تلبيتها وتطبيقها شرعاً، لاسيما وقد تصاعد النضال واقترب النصر..

"..اليوم يتعين على كل طبقات الأمة أن تتحد لتحقيق الهدف المنشود.. لمواصلة النضال المقدّس دون خشية من الدول العظمى"[٣١].

أن تتحد أكثر فأكثر، أن تنصهر فيما بينها، أن تذوب في بوتقة الاسلام.. سواء القوى المؤمنة المنظمة، أو الفصائل الوطنية، أو عموم أفراد الشعب.. والمشكلة هي أن بعض الناس تثبط عزائمهم خشية من إفتراس الدول الكبرى لبلادهم العزيزة ، فالدول هذه تملك سلاحاً فتاكاً وقدرة على إستعماله، كما وأن السافاك والحكام يروّجون مثل هذه المخاوف بواسطة الشائعات، سيّما وهم في أحلك لياليهم وأخطر مواقفهم وأضيقها، والأكثر من ذلك أن الدول العظمى – كأميركا – نفسها تدعو عملاءها لإرهاب الناس بجيشها، بدلالة اقتراب أساطيلها البحرية مثلاً.

فعلى من لا يخافهم أن يوقظ من نام لخوفه منهم، وعلى الجميع أن يسقطوا إعتبارات الدول هذه، من باب المكروه لكل مؤمن أو مسلم خشية الآخرين وليجاهدوا أنفسهم، ثم عدوّهم ويكافحوه ويناضلوه بنضال مقدّس، (فلا تخشوا الناس واخشون)[٣٢]، قرآن كريم.

(الذين قال لهم الناس، إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم، فزادهم ايماناً، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل)[٣٣].

تظاهرات استفتائية

"... دعا آية الله في رسالته الشعب الايراني الى مواصلة حركته بمختلف الوسائل، وخاصة الإضراب في جميع الإدارات وأجهزة الدولة"[٣٤].

والهدف واضح بيّن، يتجلّى في حق حكم الاسلام كفكر ونظام محقّ يتناسب مع الإنسان عموماً، لكن للهدف مراحل، فقد كانت الإضرابات والمسيرات؛ تؤشّر بالكامل على أول أخطر مرحلة وهي فصل الشاه عن الشعب..

وتتابعت المؤشرات الخطيرة الأخرى، بعد هذا المؤشّر المرتكز.." ".. إن مسيرات الإحتجاج الجماعية ضد الشاه تمثل إستفتاء بأن الشاه قد فصل نفسه عن الشعب"[٣٥].

في الواقع إن أوسع إستفتاء جماهيري يشهده العالم في غمرة النفوذ الاستعماري، والتحكم الإستبدادي ، نظراً لكون القضية العادلة هذه قضية إسلامية شاملة، تستقطب حتى بسطاء الناس دون أن تدعهم يبتعدون عن قضيتهم الصميمة.

مما قاله سماحة السيد الامام، أثناء حديث أجراه معه مندوب الإذاعة والتلفزيون الفرنسي، هو:

".. الانتفاضة العظيمة التي إندلعت في الاشهر الأخيرة على أساس بياناتنا

هي انتفاضة وطنية إسلامية، وتضم كل فئات الشعب، وفي الحقيقة هي إستفتاء تلقائي ضد النظام الذي يعتبرها – زوراً – أعمالاً غير قانونية"[٣٦].

فالخميني قائد الإستفتاء العظيم، يدرك اللطف الإلهي الخفيّ الذي دفع حتى غير المنظمين من المؤمنين، أو الوطنيين للإشتراك بالإستفتاء الذي تكرر، فأضحى إستفتاءات ، وجاءت لا بعنوان إستفتاء بل بعنوان إحتجاج وثورة سلمية، فكان تلقائياً قد وضع الشعب في قاسم مشترك أعظم، للإستفتاء ، وإن كانوا سلفاً قيد هذا القاسم المشترك الأعظم، متمثلاً بالإسلام ديناً.

القوميات الايرانية

إذا كان للقوميات والأجناس المتعدّدة وجود، فإن للإسلام الجامع وللدين الواحد حضور وبالتالي فإن إلتقاء القوميات كان رهناً بأصالة الانتماء، إنتماء جميع الناس الى ماهو أرحب من أطر القومية وأسمى من حدود الأجناس (وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا) قرآن كريم.

هناك من ترقب بادرة قومية، أو بإسم القومية، تحبط أو تساعد على احباط الثورة، او – على الأقل – تسعى لعرقلتها فتؤخر بلوغ أهدافها . أضف الى ذلك ماورد من مواقف قبلية إستهدفت الكيد للثورة، بوحي الشاه الذي حرّك بعض القبائل لمواجهة غضب الشعب ونشاط الجماهير، وقد لبّى أقطاب تلك القبائل الحمقى رغبات الشاه وإن لم ينالوا الغرض تماماً، إذ تقهقروا فشلاً..

إن المسألة الملفتة للنظر، والتي تستأثر الإهتمام، حيث تتخذ موقعاً له بالغ الدور والأثر على مسار عموم التحركات ومجمل الثورات، هي التواجد القومي، ودع عنك التواجد القبلي.

فطبيعة التركيب الإجتماعي لأي شعب، سيّما التركيب القومي. لا يمكن نكرانه، وتسجيل ما يتركه من آثار – بأي شكل من الأشكال – على مجرى

الأحداث الثورية، ومسيرة الجهاد. ولهذا يحرص الدارس والباحث بشأن أي فترة تاريخية أو مشكلة سياسية، على ملاحظة ظاهرة التركيبة الإجتماعية ومن يتجاهلها فإن ما يتوصل إليه قابل للتجاهل والطعن بصوابه.. ونحن رغم سرعة وضعنا لهذا البحث، سبق أن راعينا التركيبة الإجتماعية من حيث التركيب الطبقي وغيره، فأشرنا الى أن كل الطبقات قد نزلت الى الساحة، وإخترقت الشوارع، مع تواجد الطلبة والموظفين والكسبة والتجار في البازار، وشتى القطاعات دونما استثناء؛ حتى الأحزاب والفئات الوطنية.. كلهم أجمعوا فتواجدوا بكثافة رهيبة، وبكثرة مهيبة.

فما أروع التلاحم الذي شهدته ايران من قبل الأقوام الذين عاشوا فيها معاً تحت ظل دين واحد، بنفس الأفراح وذات الأتراح، وبتفاوت اللغات، ووحدة لغة العبادة والصلاة. وتلاوة القرآن الكريم حسبما نزل من السماء..

إذا كان للقوميات والأجناس المتعددة وجود، فإن للإسلام الجامع وللدين الواحد حضور.

بالتالي.. فإن إلتقاء القوميات كان رهناً باصالة الإنتماء: إنتماء جميع الناس الى ماهو أحب من أطر القومية، وأسمى من معنى الأجناس.. (.. وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا..) قرآن كريم.

وبعد.. فإن الأمة الإسلامية تمثلت بشعب ايران ذي القوميات الإسلامية المتعددة، الشعب الذي مثّل الأمة وعبر عنها، وأضحى مرآة لها.

المرأة والثورة

ثارت نساء الاسلام داخل ايران وفجّرت تظاهرات لم تبق للشاه ولا للشهبانو فرح أي إستقرار وأي فرح.. وكانت مبادرات أخواتنا المؤمنات التقيات، تؤكد حقيقة أن المرأة المسلمة أخذت تعيش الوعي في العالم الإسلامي عموماً وإيران

على وجه التخصيص، تحركات شجاعة توحي بمدى التصميم على مجابهة النظام الحاكم صاحب الممارسات التعسفية القاضية بتحطيم شخصية المرأة المؤمنة، وتذويب قيمها ومثلها وإزالة عفتها ومعالم تمييزها الجليل، وصهرها لفك عناصر القوّة التي تمنح المرأة شخصية نزيهة طاهرة غير ملوثة.. فما سعى إليه الشاه ومارسه لم يكن يهون على جميع الأفراد، فأثار فيهن الشجاعة الاسلامية، والصرامة الفاطمية، .. كما أثار أولادهن وأزواجهن فضلاً عن العلماء الذين يقلدونهم، ويسير الجميع بهدي فتاواهم، آثار الرجال ذوي البطولة المحمدية ؛ إنهنّ لا قَينَ ما لاقاه الرجال بالضبط، فشاطرنهم الموقف المصيري، وقاسمنهم القبور، والمستشفيات كذلك والسجون.

"عشرات الآلاف" رجالاً ونساءً محجبات، يصفهن الصحفي بأنهن "يرتدين عباءات" الكل ينشدون أناشيد التصميم والتوطين، أناشيد الحرية والحتمية، ويختمون نشيدهم أو أناشيدهم بالقول ": إننا مصممون على الاطاحة بالشاه وبالملكية .. والموت للشاه"[٣٧].

"ووقف العالم مشدوهاً، وهو يرى السيدة الإيرانية تهبط من جبال قمّ وشيراز وتبريز الى شوارع طهران.. رافعة قبضتها في وجه العسكر، ورافعات البترول واحتكارات الدول الكبرى"[٣٨].

نساء ملكن من الايمان والعزّ ما يأبى عليهن العودة للحياة البيتية بلا حرية، بلا حكومة إسلامية، بلا تحقيق لكل الأوامر الخمينية.. إنني آسف لعدم سنوح الفرصة كيما نتحدث عن العائلة والأسرة الاسلامية ومميزاتها لاسيما في ايران؛ بحيث مكنها من أن تلعب هذا الدور الخطير وعلى كل حال نأمل ذلك في أوقات أخرى إن شاء الله.. فسلام الله عليهن وتحية للمؤمنات المجاهدات..

ويصرح الامام الخميني القائد باستشهاد المئات من المؤمنات والمجاهدات بقوله:

".. إن إشتراك المرأة المسلمة في الإنتفاضات الأخيرة أثبت للجميع خواء وكذب إدعاءات الشاه (القاضية بأن الثورة ضد المرأة والإسلام يؤخرها)..

إن المرأة الى جانب الرجل تطالب بالحرية والإستقلال، وتدين جرائم الشاه..".

ويضيف: "ولقد إستشهد يوم الجمعة الأسود، قرابة – ٦٠٠ – من النساء المطالبات بالحرية بيد جلاوزة الشاه الخائن؛ إن هذا هو معنى حرية المرأة والحضارة الكبرى لدى الشاه..."[٣٩].

التشويه العالمي

فتمّ للشاه ورجاله، استنجار عدد كبير من رجال الإعلام الأجنبي وشراء كثير من رؤوس الصحافة، بأثمان غالية لتسخيرهم للمهمة تحت طائلة العملة الصعبة ونزيف اقتصاد الشعب، وكانت الأرقام المالية مغرية يسيل لها لعاب المهرة بتلك الألعاب، فنسوا مزاعم الحرية والتقدمية والضمير والإنصاف وحقوق الإنسان وغيرها من الديمقراطيات المعرضة للمزاد العلني بأسواق النخاسة والسوق السوداء.. فمجّدوا الشاه أيّما تمجيد ومنحوه كل وسام ولقب ووصف قديم أو جديد، حتى رفعوه إلى مستوى الأب الروحيّ لشعب إيران الكبير، عظّموا الشاه تعظيماً فوق طاقته ومستواه، وأكدوا تطور البلاد وتحديث الشعب وعصرنة الواقع. كل ذلك في ظل عرش الشاه المتصدّع.

بينما استمدّوا من التشويهات الداخلية حججاً حسبوها دامغة فرصّعوا بها مقالاتهم "النزيهة" وسجلوا أخبار ما تسخر به الجماهير، من تأييد للشاه، فأضافوا بذلك زخماً من المهازل التي تحوّلت مع زخم السخريات من العالم الداخلي إلى أرجاء العالم كل العالم الخارجي.

وما عملية الإستئجار بالشيء الصعب، ذلك لأنّ الشخصيات رخيصة وزهيدة

إلى أخس ثمن بخس. فكيف والشاه يقدم الآلاف والملايين مع استدرار العطف والشفقة لحاله التي أضحت مدعاة رثاء أصدقائه الذين دعمهم ودعموه.

وعليه فإن هناك نماذج، كأحد مديري تحرير مجلة "نيوزويك" وكبير مراسليها العالميين المدعوّ "أرنو بورشغريف"، و"روبرت موس" المعلق في صحيفة "التايمز" اللندنية أيضاً.. وغيرهم كثير جداً.

"وآخرون، كلهم تقاضوا رشاوى نقدية وعينية من البلاط الإيراني للكتابة عنه مديحاً.." (٤٠).

عداء امريكا والصهاينة

ما كانت الحركة الصهيونية لتدخّر وسعاً، أو لتبخل بمال من أجل دعم الشاه وتشويه كل من الإسلام بالذات والإمام الخميني شخصياً ومن ثم الحركة الثورية القائمة حالياً.

ترى هل للمجهودات الأميركية والصهيونية وغيرهما قدرة على الحدّ من الثورة، أو تشويهها إلى الأبد..؟ كلا.. وهذا ما تعرفه القوى المذكورة.

فلماذا إذن متابعة وممارسة هذه المساعي المخفقة سلفاً.

سؤال لا يفتقر إلى جواب، وهو جدير بالإجابة والفهم.

نقول: إنّ أهم ما تستهدفه أميركا مثلاً، من وصمنا بالتعصب هو اعطاء سابقة ذهنية للأميركان – وغيرهم طبعاً - ، لما ستسفر عنه مواقف الإسلام الحاكم المبدئية حيال الإمبريالية الأميركية وأشباهها من قوى معادية لنا ولمبادئنا. إنها لكي تدفع اللوم المرتقب من قبل الشعب الأميركي لحكّامه ورؤسائه، فقد سبقتهم بأدعاء تعصبنا ضدهم والحال نحن براء إلاّ من حتمية وقوفنا المتناسب مع رسالتنا القاضية بمقاطعة كل ذوي الأطماع والاستهتار ..

نفس هذا ينسحب على القوى الصهيونية المتأكدة جداً من طبيعة موقف

إسلامنا، وماهية الثورة والحكم المنتظر لما بعد انتصارها، وهي تعي موقف الثورة إزاءها مسبقاً، وبعد مباشرتها فعالياتها النشطة القائمة لحدّ الآن.

إذن فهم يمهدون لتسويغ معارك الاسلام القادمة ضد الكيان الإسرائيلي والوجود الصهيوني، وهي معارك جاءت كما توعدّهم الخميني ولم يزل مقيماً بباريس. فكيف به لو انتقل إلى طهران ليمسك بناصية الحكم وزمام المعركة الرهيبة ضد اسرائيل، والسابقة الذهنية التي أعطتها الصهيونية لبيان سرّ تحرك الإمام الخميني مخطط الحروب المقبلة، هي أنه ينطلق من موقع عدائه للسامية، زيادة على تهمة المنطق الأميركي بالتعصب، فما على يهود العالم إلاّ أن يكثفوا الدعم الكامل بشرياً ومالياً للوقوف ضد الموجة الخمينية المعادية للسامية. حسب نظريتهم المعتادة بالتذرّع بالحرص على هذه السامية صاحبة الجلالة..

وبعد: فالتضليل والتعمية من قبل الأطراف هذه ليس وصولاً لإحباط الثورة وضربها؛ فذلك ما أضحى حكمه مستحيلاً بلطف الله، وإنما جاءت عمليات التعمية كمبادرات عاجلة لتسويغ ما يجري مستقبلاً، إنها متأكدة من ظفر الثورة بالنصر وقبض الثوار للحكم.. بعد هذه المقدمات أرى ضرورة نقل ما ورد من فقرات صغيرة بإحدى الصحف، حول الجهود المعادية لا للسامية بل للانسانية جملة وتفصيلاً بما فيها العداء للإسلامية.

"بدأت الأوساط الصهيونية في الولايات المتحدة حملة تشنيع ضد الإمام آية الله الخميني. وقد وزّعت تلك الأوساط على الصحف بعض الأقوال والخطب المنسوبة الى الإمام الخميني في محاولة لا ظهاره ضد السامية.

" كذلك بدأ بعض المعلّقين الأميركيين المعروفين، ومنهم جوزف كرافت، انتقادات للإسلام، لأنه حسب زعمهم "حركة رجعية من العصور الوسطى المظلمة"[٤١].

أجل: "شنشنة أعرفها من أخزم".

"أحد المراقبين قال: لو أنّ الخميني وعد إسرائيل بالبترول لكان في نظر هؤلاء أكبر متمدن"[٤٢].. حتى لو كان رجعياً بمقياسهم..

وهذا من أطرف التعليقات أو التعقيبات المصيبة جداً.

وصدق الله ربنا (لتجدن أشدّ الناس عداوة للذين آمنوا، اليهود والذين أشركوا)[٤٣].

الاهمال العالمي

لا خلاف على أن هذا العصر هو اكثر العصور إمتلاءً بمزاعم الاهتمام بالانسان والادعاء بالحرص على رقيّ الإنسانية، والدفاع عن حقوقها المشروعة، إنه عصر الكذب على الإنسانية بأسرها، عصر الافتراء من أجل اعتصار طاقات البشر، وامتصاص دماء الشعوب، مع استنزافها بالكامل أما اذ تألمت وتضوّرت فلملمت متبقيّات قدراتها كي تخطو وتخطو فتنطلق بحركة ثائرة، فنصيبها السحق والقمع، وويل لمن يهرب أو ينجو..

فدم الانسان.. دماء الانسانية، جرح الانسان، جراح الانسانية أشلاء جثث الشعب تصبغ الشوارع. والبيوت تضجّ بأنين الثكالى.. وكلّ دعاة وأقطاب حقوق الانسان وساسة الدول كلهم نيام بل في سبات يلتحفون بالحقوق ويحتكرونها لهم، ولغيرهم الرصاص والقنابل المسيلة للدموع والدماء.. لغيرهم القبور يلتحفون بالثياب والتراب، بلا غسل بلا أكفان، والمشهد العملي من الهجمات الاميركية ضد الشعوب الاسلامية في العراق وافغانستان و.. هو خير دليل على مانقول، إنها موجز عملي لحقوق الانسان. مقررات عملية لا نظرية.

وما أن فرضت الفعاليات عظمتها الاسلامية، حتى سقطت الدول الكبرى في أسر الذهول والحيرة، كذلك هي الصغرى.. فمنها عن عدّلت مواقفها ومنها من

تركتها كما هي، وهكذا هي الحكومات الصغرى، حتى بلغ من هذه الحكومات الصغيرة، أنها ظلت تتجاهل مهملة غير مبالية في الظاهر، خائفة منهزمة النفس والمعنوية.

شاء الأعداء طمس الحقائق وعدم تعظيمها ولا حتى تقديرها النسبي.

وشاء الله سبحانه وتعالى أن يدفع الحق عالياً جداً مع فضيحة الأعداء وخزيهم.

جولة الباطل ودولة الحق

فقد أحدث الشعب الايراني العظيم هزّة عنيفة في هذا الكوكب الكبير، أحدث ضجيجاً مدوياً، ولكن ليس بقوة القنابل، ولا بهدير الطائرات، أو أزير الرشاشات، كلا. وإنما بقوة القلوب، وهدير الجموع الغاضبة، وأزيز الأصوات والصرخات من ملايين الحناجر، المنبعثة بصدق وإخلاص من أعماق القلوب بقوة دفع الروح، وعلّو معنويات ومن صميم الفؤاد المجروح.

إذاً لا قيمة للمفرقعات الكيمياوية، والمتفجرات الفتاكة، ان ما أحدثوه وسيحدثوه هو مما تعجز عن القيام به أشدّ القنابل دوياً وافنجاراً، إن حرارة القلوب الحسينية وسخونة الأجساد الاسلامية أخطر من أي كمية مواد كيمياوية. للشاه سطوته وسلطانه، وكبرياء لترسانة سلاحه وطغيانه، لكنه طرد كما يطرد "الجراد" وسحق كسحق الحشرات المضرة.

"لم يعرف العالم حركة هزّت نظاماً في قوة الشاه، وأزعجت دولاً مثل الولايات المتحدة، مثل الانتفاضة الإيرانية فهي قد فعلت ذلك.

حتى الأطفال كابدوا واستشهدوا.. "في بادئ الأمر ظننت أنها دمى.. ولكن يا إلهي .. لقد أدركت أنها جثث أطفال" إنه صحفي أميركي نقلت عنه وكالة اليونايتدبرس، كما سجلت إحدى أعداد صحيفة الوطن. إنه لم يصدّق ما رآه

بـبلدة "قزويـن" الإيرانـية، فأمعـن الـنظر جـيداً وأحصـى عـدداً وإذا بهـا ٣٥ جـثة طفل معدّة للدفن بإحدى المقابر.

صـورة واحدة من مئات وآلاف الصور الجماعية التي أعدّها الشاه باستديوهاته الأميركـية التصـميم والتخطـيط والمـنهج.. والآن فلنـنظر إلـى صـورة واحـدة وفـردية غـير جماعـية، فلـو أردت الـتحدث عـن استشهاد الرجال والشباب فحدِّث ولا حـرج، إذ هـم يشـكلون النصـيب الأكـبر مـن حجـم الـتجربة الاستشـهادية الـرائدة.. وهـم أهـل السـبق العقائدي الرهيب الذي هزّ عروشاً وليس عرشاً واحداً بإيـران.. وهـذا واحـد مـنهم وقـد راقبه بعض الصحفيين وهو ينتهي رويداً رويداً ويلفظ أنفاسه بقناعة ورضى كبيرين:

"وقـال محمـد علـي صـفو زادة، وهـو مـدرس في السابعة والعشرين من عمره كانـت قـد أصابته عدة طلقات نارية في رئتيه (قال): لقد أمضيت ثلاث سنوات فـي السـجن وعذبـت خـلال أشـهر، والآن سـأموت.. وتمـتم وهـو يحتضـر: (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون) [٤٤].

فمـا أعظـم هـذه القـناعة والرضـى (يـا أيـتها الـنفس المطئنة إرجعي إلى ربك راضية مرضية فأدخلي في عبادي وأدخلي جنتي) [٤٥].

فتحـية لكـم أيهـا الشـهداء وسـلام علـيكم أيهـا الاحـياء، سـلام الله ورحمـته وبـركات تخصّكم وتحفّكم ، تحية لكـم أينـما كنـتم، وبأي مدينة تجاهدون وتعملون ، وسلام الله على قـادتكم وقادتنا، لاسيما سيدنا الأكبر الذي قادكم "ليصـنع أوّل وأبـرز ثـورة جماهـيرية مستقلة في عصرنا الحديث" [٤٦]. تحية لكم وسلام عليكم بما صبرتم لله، وبما ضمنتموه من نجاح ساحق وبأس شديد وقوة جـنان وشـكيمة وصـمود وصرامة، فكنتم كما قال سبحانه وتعالى: (لا يخافون فـي الله لومـة لائم) [٤٧]. فأيدكم وسدّدكم بعدما أردتم له النصر وإقامة حكمه تعـالى، بالحـاح وتصـميم تجلىَّ لكـل الأبصـار والبصـائر، حيـث "اسـتمرار تدفـق

الملايين الى الشوارع في أطول مسيرة تظاهرات مدنية عرفها العالم حتى الآن.." [٤٨].

(كنتم خير أمّة أخرجت للناس، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، وتؤمنون بالله..) [٤٩].

الهوامش:

١- القرآن الكريم – سورة الاحزاب ٣٣ – آية ٢٣.

٢- بنفس الوقت يأخذ بتشويه الاسلام في الداخل والخارج فقام باظهار (الاسلام بمظهر الدين الرجعي غير المتقبل لروح العصر، ودأب الشاه على الضرب على هذه النغمة في جميع تصريحاته للصحافة الاجنبية لكسب عطفها واظهار نفسه بمظهر (المصلح الديمقراطي العصري) – مجلة الوطن العربي – عدد ٨٠ ص ٤٠ الصادرة من باريس..

٣ - أنظر كتاب (دروس في الجهاد والرفض).

٤ - مجلة الوطن العربي – عدد ٦٦ ص ٣٠.

٥ - كتاب – دروس في الجهاد والرفض ، ص ٣٦ .

٦ - كتاب – يقظة العالم الاسلامي – ج ٢، ص ٥١

٧ - القرآن الكريم – سورة النور ٢٤ – آية ٥٥.

٨ - من بيان سماحة الامام الخميني في النجف الاشرف في ١١ صفر ١٣٩٨، عقب مجزرة قم – أنظر كتاب – دروس في الجهاد والرفض – ص ٢٥٥.

٩ - من بيان الامام الخميني أرسله من النجف الأشرف في ١٤ ربيع الثاني ١٣٩٨ بمناسبة أربعين شهداء تبريز نفس المصدر السابق، ص ٢٩٧.

١٠ - الرسول الأعظم (ص).

١١ - آل عمران/ ١٠٣، ١٠٥.

١٢ - آل عمران/ ١٠٣، ١٠٥.

١٣ - سورة الأنفال / ٤٦.

١٤ -مجلة الكفاح العربي – الصادرة في بيروت – عدد ٢٥ – ٧٠٨ ص ٤٤.

١٥ - الإمام الخميني – صحيفة الوحدة، مكان صدروها "ابو ظبي" – عدد ١٦٢١، ص ١٢.

١٦ - صحيفة الانباء، تصدر بالكويت – عد ١٠٦٨، ص ١.

١٧ - صحيفة الأنباء – عدد ١٠٩٢ – ص ١٩ .

١٨ - صحيفة اللواء الصادرة بلبنان عدد – ٢٨٤٥ص ١٤.

١٩ - صحيفة السفير الصادرة بلبنان عدد – ١٦٨٦ ص ١.

٢٠ - كتاب "يقظة العالم الاسلامي – " بقلم .. فرنجو ص، ١٦.

٢١ - عن التايمز – ترجمة صحيفة السياسة – الصادرة بالكويت – عدد ٣٧٤٨، ص ١٦.

٢٢ - صحيفة الفجر الجديد – الصادرة بليبيا – عدد ١٩٨٦، ص ٨ .
٢٣ - صحيفة الانباء – عدد ١٠٦٨، ص ١٨.
٢٤ - صحيفة الوطن – الصادرة بالكويت – عدد ١٥٦٢، ص ١٧.
٢٥ - مجلة فلسطين الثورة – الصادرة بلبنان – عدد ١٦، ص ٣٢-٣٣.
٢٦ - نفس المصدر – ص ٣١.
٢٧ - العنكبوت/ ٢٩ .
٢٨ - كتاب – الغارة على العالم الاسلامي – بقلم شاتليه ، ص ١٧٩ط.
٢٩ - نفس المصدر – ص ١٦٠.
٣٠ - بروتوكولات حكماء صهيون – البروتوكول التاسع.
٣١ - كتاب – دروس في الجهاد والرفض – ص ٤٩.. والملاحظ أن في تلك السنة نفسها – ١٣٨٣- نفي الامام الخميني وظل ١٥ عاماً وبعودته المباركة، وحسب أوثق المصادر والصحف الأكثر حرية. أن الذين استقبلوه من الطهرانيين وعموم الايرانيين هم ستة ملايين.. وهذا من اللطف الالهي الخفي.. حيث تستقرّ كبريات الأرقام لكبار، المقام.
٣٢ - الامام الخميني – صحيفة تشرين السورية – عدد ٩٥٦، ص ١٠.
٣٣ - المائدة/ ٤٤.
٣٤ - آل عمران / ١٧٣ ، صحيفة تشرين – عدد ٩٥٦، ص ١٠.
٣٥ - صحيفة القبس – عدد ٢٣٦٣ – ص ٢٠ .
٣٦ - الخميني القائد صحيفة أجيال - الصادرة بالكويت – عدد ٣٩٧، ص ٦.
٣٧ - صحيفة القبس – عدد ٢٣٨٦، ص ٢٠.
٣٨ - كتاب بعنوان (الخميني الحل الاسلامي والبديل) تأليف الكاتب المصري فتحي عبدالعزيز ،ص ٥.
٣٩ - صحيفة أجيال – عدد ٣٩٧ ، ص ٦ من كلام سماحته لمراسل اذاعة وتلفزيون فرنسا.
٤٠ - مجلة الكفاح العربي – عدد ٢٥ – ٧٠٨، ص ٥٦ .
٤١ - صحيفة القبس – عدد ٢٣٨٤، ص ٢٠ .
٤٢ - صحيفة القبس، عدد ٢٣٨٤، ص ٢٠.
٤٣ - المائدة/ ٨٣.
٤٤ - صحيفة اللواء – عدد ١٤ كانوا الأول ١٩٧٨ ص ١٢ – آل عمران .
٤٥ - الفجر/ ٢٧ ، ٣٠ .
٤٦ - مجلة الموقف – عدد ١٦٧، ص ٢٤
٤٧ - آل عمران/ ١١٠
٤٨ - صحيفة اللواء – عدد ٢٨٨٠ ، ص ١١
٤٩ - آل عمران / ١١٠